

2019

ترجمة الأدب العربي في الصين في السياق التاريخي والثقافي في العصر الحديث والمعاصر

Ma Tao

Shanghai University, totti_z@live.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan>



Part of the [Chinese Studies Commons](#), [Language Interpretation and Translation Commons](#), and the [Translation Studies Commons](#)

Recommended Citation

Tao, Ma (2019) "ترجمة الأدب العربي في الصين في السياق التاريخي والثقافي في العصر الحديث والمعاصر," *Al Jinan الجنان*: Vol. 11 , Article 15.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol11/iss1/15>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *Al Jinan الجنان* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

ما تاو (بسيمة)

دكتوراه في اللسانيات العربية، جامعة شنغهاي

ترجمة الأدب العربي في الصين في السياق التاريخي والثقافي في العصر الحديث والمعاصر

DOI: 10.33986/0522-000-011-015

خلاصة البحث

قد شهدت قضية ترجمة الأدب العربي في الصين تطوراً مندمجاً في تغيرات اجتماعية في العصر الحديث والمعاصر، خصوصاً منذ حركة الأدب الحديث التي نشأت في بداية القرن العشرين. وكذلك شهدت تحول دوافع المترجمين لترجمة الأدب العربي، من الخدمة لتتوير الشعب وإنقاذ الوطن، إلى الخضوع للإيديولوجية والتخطيط السياسي، ثم السعي إلى الجمالية الفنية والتبادل الثقافي. ولم يؤثر الأدب المترجم من اللغة العربية في بيئة الأدب الصيني فحسب، بل قد راح يؤدي وظائف إيديولوجية وشعرية لم يكن يتحلى بها الأدب الإبداعي الصيني في حقبة معينة؛ فهو قد شارك، إلى حد ما، في بناء الثقافة الصينية الأساسية في العصر الحديث والمعاصر.

الكلمات الدالة: الأدب المترجم الصيني، الأدب العربي، الترجمة، التبادل الثقافي

مقدمة

يعود تاريخ ترجمة الأدب العربي في الصين إلى أكثر من ثلاثمائة سنة، ابتداء من ترجمة القرآن الكريم في فترة ما بين نهاية حكم أسرة مينغ الملكية وبداية حكم أسرة تشينغ الملكية. وقد شهدت قضية ترجمة الأدب العربي في الصين تطوراً مندمجاً في تغيرات اجتماعية في العصر الحديث والمعاصر وخصوصاً منذ حركة الثقافة الجديدة التي نشأت في بداية القرن العشرين، وكذلك شهدت تحول دوافع المترجمين لترجمة الأدب العربي، من الخدمة لتتوير الشعب وإنقاذ الوطن، إلى الخضوع للإيديولوجية والتخطيط السياسي ثم السعي إلى الجمالية الفنية والتبادل الثقافي. يسعى هذا البحث إلى دراسة حركة ترجمة الأدب العربي في الصين في العصر الحديث

والمعاصر في السياق التاريخي والثقافي الذي حدث فيه، من أجل تفسير أداء المترجم من جوانب مختلفة وعلى مستويات متعددة، وكشف النوايا الثقافية التي ينطوي عليها فكر المترجم في أعماله المترجمة وتبسيط الضوء على الأهمية الفعلية والتأثيرات الثقافية الناجمة عن الترجمة.

١. الترجمة الخادمة لتتوير الشعب وإنقاذ الوطن: ١٩١٩ - ١٩٤٩

شهد مجتمع الصين غزوات ومقاومات وثورات وإخفاقات في النصف الأول من القرن العشرين، حيث إن زوال السيادة الوطنية قد جعل أبناء الشعب الصيني يدركون أنهم يواجهون أزمة البقاء على المستوى الوطني. وكان النظام السياسي والإيديولوجي السابق قد شكّل عرقلة خطيرة لتنمية الفكر عند الشعب الصيني، وكذلك للإبداع الأدبي. فاعتبر المثقفون الصينيون حينذاك أن المعارف الأجنبية نافذة تطلّ على العالم الخارجي وحافزة، مؤدّية إلى تتوير الشعب داخل البلاد، فبدأوا يهتمون بترجمة الأدب الأجنبي بما فيه الأدب العربي.

على ضوء هذه المجريات، لاح الأدب العربي الحديث في أفق القراء الصينيين بجهود بعض الكتاب المشهورين، من بينهم ماو دون [茅盾/Mao Dun] (١٨٩٦ - ١٩٨١ م) الذي ترجم بعض القصائد النثرية للأديب جبران خليل جبران من كتابه ((السابق)) في العام ١٩٢٣ من اللغة الإنجليزية إلى الصينية، وتم نشرها في عدة من الجرائد والمجلات.

وإلى ذلك، ترجم الكاتب تشهغ تشن دوه [郑振铎/Zhen Zheng Duo] بعض المقاطع من قصائد الشعراء الأربعة المشهورين في العصر العباسي من الإنجليزية إلى الصينية في كتابه ((مقدمة إلى الأدب)) [文学大纲]، وهم أبو نواس وأبو العاتية والمتنبي وأبو العلاء المعري. قام اختيار تشهغ تشن دوه لهذه المقاطع على أساس تقدير الأدب العربي كجزء هام من الأدب الأجنبي. واستعمل المترجم لغة سهلة الفهم ونمط الشعر الحر في ترجمته.

وبعد ظهور أول كتاب مترجم كامل لجبران في العام ١٩٢٩ وهو ((المجنون)) الذي ترجمه المبشر الصيني ليو تينغ فانغ [刘廷芳/Liu Tingfang] (١٨٩٢-١٩٤٧). يصب ليو تينغ فانغ حماسه كمسيحي، وجديته كمترجم، وشعريته كأديب في ترجمته، واختار الأعمال التي تتسم بطابع الدين لأنه يفهم الكتاب المقدس والثقافة المسيحية فهما عميقاً مقارنة بالمترجمين الآخرين حينذاك. غير أن ترجمته لم تؤثر في القراء عامة ومجموعة الكتاب خاصة، تأثيراً كبيراً بسبب قلة عدد النسخ المطبوعة ونطاق التوزيع المحدود.

ازدادت شهرة جبران خليل جبران عند القراء الصينيين بشكل ملحوظ بفضل الأدبية الشهيرة بينغ شين [冰心/Bing Xin] (١٩٠٠-١٩٩٩ م) التي كانت مترجمة لكتاب ((النبى))

هكذا ساهم المثقفون المشاهير المذكورون أعلاه بجهودهم في خلق تيار قراءة لأعمال جبران ودراستها في الصين. وقد لعبوا دوراً رائداً في انتشار أعمال جبران في الصين لاحقاً. لكن السمات العربية لجبران كانت غير معروفة عند القراء الصينيين لأن كل ما تُرجم من أعماله في هذه الفترة ترجمات من اللغة الإنجليزية.

أما بالنسبة إلى الأدب العربي، فما زال كتاب ((ألف ليلة وليلة)) مرادفه في قلوب القراء الصينيين. وازدادت الشهرة التي رافقته إلى حد سعى فيه العديد من المترجمين إلى ترجمته إلى الصينية، وبلغ عدد الكتب المترجمة لحكاياته في هذه الفترة أكثر من عشرة. ومع ذلك، كان كل ما تُرجم من الأدب العربي في هذه الفترة قد انطلق من لغة أخرى غير اللغة العربية سوى كتاب واحد هو ((ألف ليلة وليلة)) الذي ترجمه العالم المسلم ناشيون [Na Xun / 纳训] (١٩١١ - ١٩٨٩ م) مباشرة من اللغة العربية وتم نشر الكتاب في خمسة مجلدات في العام ١٩٤١.

لم تعد حركة ترجمة الأدب العربي في الصين، في فترة ما بعد حركة الرابع من مايو وقبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية، نشاطاً عفوياً قام به المترجم نتيجة لميوله الشخصية، بل صارت تتسم بصيغة مسؤولية المثقفين تجاه الشعب والدولة بشكل عام، وقد أصبحت من أنشطة التبادل الثقافي المركزة على هدف أكثر وضوحاً مقارنة بما سبقها. ومن الواضح أن أسلوب الترجمة الأدبية في هذه الفترة يتسم بصفات اللغة «العامة» التي تدعو حركة الثقافة الجديدة إلى استعمالها. وكان معظم الأعمال المترجمة من الأدب العربي في هذه الفترة بقلم أدباء مشاهير، مما جعلها ذات جودة متفوقة وتأثيرات هامة للأدب المترجم في الصين حتى في الوقت الحالي.

٢. الترجمة الخاضعة للإيديولوجية والتخطيط السياسي: ١٩٤٩ - ١٩٧٧

وصلت قضية ترجمة الأدب العربي في الصين إلى ذروتها في الخمس عشرة سنة الأولى بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية في العام ١٩٤٩، إذ اندمجت قضية ترجمة الأدب الأجنبي في إطار توطيد السلطة الاشتراكية الجديدة وتوسيع حركة الاستقلال المناهضة للإمبراطورية والاستعمارية في العالم. وأدى ذلك إلى تفوق الإيديولوجية السياسية على الجمالية الفنية في عملية اختيار الأعمال وأصبحت ترجمة الأدب الأجنبي حركة سياسية مخططة من قبل الحكومة في سياق الحرب الباردة.

صدر في هذه الفترة أكثر من عشرين ديواناً ومجموعة قصص للجزائر وليبيا ومصر وسوريا والعراق والأردن وغيرها من الأقطار العربية وفق تخطيط الحكومة الدقيق تعبيراً عن الدعم

لحركات التحرير الوطني التي تجري في هذه الدول. وتتمحور هذه الأعمال حول موضوع الثورة الاستقلالية أو نضال العدالة. على سبيل المثال، تروي الحياة المأساوية للشعب العربي تحت حكم الإمبراطورية و مشاعر الشعب من الغضب والكراهية؛ أو تتهم الإمبرياليين وعملاءهم بنهبهم المجنون لموارد الدول العربية وبخاصة الموارد النفطية، وتدعو إلى استقلال الدولة وإلى الحرية الوطنية؛ أو تعبر عن رغبة الشعب العربي في بذل أقصى جهوده لبناء مستقبل أفضل.

كانت معظم الأعمال تُترجم من اللغة الروسية، فبطبيعة الحال، لا تخلو الأعمال المترجمة في هذه الفترة من أخطاء ولا تقل ظاهرة حذف المترجم وتغييره للنص الأصلي استجابة لاحتياجات الإيديولوجية. لذا، فيمكننا أن نلاحظ أن الأعمال المترجمة من الأدب العربي في الصين في هذه الفترة تتسم ببصغة السياسة القوية، إذ كانت أولى اهتمامات المترجمين في صفات الأعمال الثورية والتقدمية، وقد أصبحت الترجمة الأدبية تابعة كلياً للإيديولوجيا والسياسة، وفقدت حيويتها الفنية والجمالية.

ومع ذلك، فإن ما يجدر ذكره هو أن تعليم اللغة العربية في الصين خطا خطوة مهمة ودخل في صفوف الجامعات الصينية في العام ١٩٤٦، وكانت الأعمال المترجمة مباشرة من العربية في هذه الفترة القصيرة جميلة بديعة ولونادرة الوجود، ومن أبرزها كتاب ((كليلة ودمنة)) الذي ترجمه السيد لين شينغ هوا [林兴华/Lin Xing Hua].

غرقت الصين في فوضى وانتكاسات سببها ما عرف بـ«الثورة الثقافية الكبرى» التي بدأت في عام ١٩٦٦، ودامت حالة الركود في جميع المجالات داخل الصين لعشر سنوات، فاندثرت كل أنشطة الإبداع الأدبي والفني في هذه الفترة، بما فيها عمل ترجمة الأدب الأجنبي. «وكان مضمار الترجمة الأدبية العربية حينذاك صورة مصغرة لما كانت تعانيه الصين من التدهور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، إذ إن نشاطات الترجمة في هذه الفترة اختفت تماماً.» لذلك، لم يتم نشر أي كتاب مترجم من الأدب العربي طوال السنوات العشر هذه، ولم ترجع الحيوية الثقافية إلى الصين حتى حلول العام ١٩٧٨.

٣. الترجمة الساعية إلى الجمالية الفنية والتبادل الثقافي: ١٩٧٨ - الآن

طرأت تحولات هائلة على المجتمع الصيني منذ العام ١٩٧٨ بسبب تنفيذ الصين سياسة الإصلاح والانفتاح على الخارج، وامتدت تأثيراتها إلى المجال الثقافي وأنتجت تحرراً فكرياً في تاريخ الصين الحديث. فتخففت قيود السياسة والإيديولوجية التي كانت مفروضة على الدائرة الأدبية والفنية في الصين، وازدادت الاهتمامات بالقيمة الأدبية عند اختيار الأعمال للترجمة، كما

توسّع فريق المترجمين الأكفاء نتيجة لإنشاء تخصص اللغة العربية في أكثر من عشر مؤسسات للتعليم العالي، وإدراج تاريخ الأدب العربي في جدولها الدراسي. «فقد أصبحت الترجمة عملاً حراً منفتحاً على الجميع.» ويتوق المثقفون الصينيون بعد فترة طويلة من الإغلاق، إلى الاطلاع على الأدب العالمي بما فيه الأدب العربي. لقد عادت معايير اختيار الأعمال للترجمة إلى طبيعتها الأدبية واشتد نشاط دائرة ترجمة العربية في عمل ترجمة الأدب العربي.

كل هذا قد ساهم في تحقيق ازدهار غير مسبوق لقضية ترجمة الأدب العربي في الصين، فتم نشر ما يقارب مئتي عمل مترجم من الأدب العربي في حوالي عشرين سنة، بما فيها روايات ودواوين شعرية ومسرحيات وأساطير شعبية وإلخ، وكان معظمها يُنقل من اللغة العربية مباشرة. وتسبب الأدب العربي في تراجع الدور المركزي الذي اضطلع به الأدب الأوروبي سابقاً في إطار الأدب العالمي في عيون المثقفين والقراء الصينيين، ولم يعد الأدب العربي غائباً في مؤلفات الأدب العالمي أو الأدب الأجنبي في الصين بفضل جهود مشتركة بذلتها كافة الأطراف. يتعرّف القراء الصينيون أشهر الأدباء العرب عبر قلم المترجمين، على سبيل المثال، نجيب محفوظ وطه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشوقاوي وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وميخائيل نعيمة وغسان كنفاني وحنا مينه والطيب صالح وأبو القاسم الشابي... وإلخ.

تتدرج قضية ترجمة الأدب العربي إلى مسار التقييس بحلول القرن الحادي والعشرين متأثرة بالتنوع الثقافي على مستوى العالم وبخفيف القيود في بيئة الإبداع الأدبي والفني وبتسويق صناعة الترجمة والنشر في الصين، فتسير ترجمة الأدب العربي على طريق عودتها إلى وظيفتها الأصلية ألا وهي التلبية لاحتياجات الشعب الجمالية وتعزيز التبادلات الثقافية بين الصين والدول العربية. ونظّم العديد من دور النشر مشاريع الترجمة للأدب العربي وتعتمد قائمة أفضل مئة رواية عربية وجائزة نوبل والجائزة العالمية للرواية العربية كدليل لاختيار الأعمال للترجمة.

٤. التحديات التي تواجه قضية ترجمة الأدب العربي في الصين الآن

ومع ذلك، تباطأت وتيرة ترجمة الأدب العربي في الصين منذ انضمامها إلى المنظمة العالمية للملكية الفكرية في منتصف تسعينيات القرن الماضي، وهذا الأمر شكّل عرقلة لنشر الأعمال الأدبية المترجمة وتوزيعها إلى حد ما. فعدد كبير من الكتب المنشورة من الأعمال المترجمة من الأدب العربي بعد التسعينيات هو طبع جديد للترجمات القديمة.

وإلى ذلك، ما زالت تواجه قضية ترجمة الأدب العربي في القرن الحادي والعشرين التحديات العديدة التي تتمثل في النقاط الثلاث التالية:

أولاً، تتأثر عملية الترجمة كلها بالنزعة الاستهلاكية في هذا العصر الذي يتسم بعوامة الأسواق مما أدى إلى أن تقهقر المعايير الجمالية للترجمة الأدبية في اختيار الأعمال واستراتيجية المترجم إلى حد ما.

ثانياً، إن معظم مشاريع النشر للأعمال المترجمة من اللغة العربية مموّلة من الحكومة الصينية، لكن المنشورات لهذا النوع من المشاريع تنتهي دائماً في المخازن مباشرة بدون اتخاذ أي مبادرة للتسويق أو الترويج باستثناء جزء صغير منها يدخل إلى السوق ويقع في مأزق ضعف المبيعات فوراً. ويعود السبب في ذلك إلى عدم وجود إشراف فعال من جانب الحكومة وسعي دور النشر وراء الأرباح مسيطرة بأفكار النفعية السائدة في المجتمع. فقد شكّل ذلك موقفاً حرجاً للأعمال المترجمة من الأدب العربي في الصين حالياً لأن فئة قرائها تقتصر على بعض متعلمي اللغة العربية أو الباحثين في مجالات ذات صلة بها وليست هناك مجموعات أخرى يعينهم الأدب العربي.

ثالثاً، يبدو أن حجم فريق المترجمين للأدب العربي في الصين الآن كبير ضخّم، ظاهرياً على الأقل، إلا أن هذا الفريق يتكون من مترجمين من شتى المستويات. مع أن الترجمة بين اللغتين العربية والصينية قد أصبحت تخصصاً مهنيّاً مستقلاً عن قسم اللغة العربية في السنوات الأخيرة، فإن عمل تدريب المترجمين الأكفيا بين اللغتين لا يزال بعيداً عن معيار الاحتراف والتنظم المنهجي. فتفاوت نوعية الترجمة لأعمال الأدب العربي نتيجة لذلك.

الخاتمة

يمكننا أن نلاحظ من خلال تاريخ ترجمة الأدب العربي في الصين في العصر الحديث والمعاصر أن الأدب المترجم من اللغة العربية في الصين لم يؤثر في بيئة الأدب الصيني فحسب، بل أدّى وظائف إيديولوجية وشعرية لم يكن يتحلّى بها الأدب الإبداعي في حقبة معينة فهو قد شارك، إلى حد ما، في بناء الثقافة الصينية الأساسية في العصر الحديث والمعاصر.

خلاصة القول، إن قضية ترجمة الأدب العربي في الصين تتقدم متواكبة مع مرور عجلة التاريخ بفضل جهود دؤوبة تبذلها أجيال من العلماء والمترجمين. قد شهدت ذروتها سابقاً، وتتطور في الوقت الحالي بثبات واستمرار بينما الطريق أمامها لا يزال طويلاً. كما قال بعض العلماء: إن الأدب العربي قد أثبت تواجده في الصين عبر جهود أجيال من المترجمين، إلا أن انتشار الأدب العربي لا يزال محدوداً جداً مقارنة بغيره من الآداب العالمية، وأدب أميركا اللاتينية خصوصاً.

فهنا أود أن أقتبس كلام الأستاذ تشونغ جي كون [仲跻昆/Zhong Ji Kun] وهو

